

إيمانويل بوتاتسي غريفوني يطرد الفلاسفة من الأدب

الفلسفة الحقيقية هي الرياضيات والشعر الحقيقي هو المادة



إيمانويل بوتاتسي غريفوني، شاعر إيطالي من طراز خاص، رقيق ونزق، سريع البديهة، عندما يتحدث عيناه تجولان في مرآة محدثة، وفي مראה أخرى غير منظورة، وتشعان بالبهجة، وقد أفعمتها بالحيوية تلك الضحكات المرحة المتلاحقة التي ينهي بها كل جملة من كلامه، لكنه عندما يتلفظ بالكلمات كان يكتشفها مع سماعه ويتأمل فيها كلمة كلمة، كما لو كان هو نفسه، في تلك المحادثة، شخصاً آخر. في هذا الحوار معه نحن في رحلة مع المسارب والخلايا المعرفية للشاعر، أكثر مما نحن في رحلة حول كتابة الشعر في ذاته، وكفى. فالشعر، ولكن الشعر، في عرف بوتاتسي غريفوني إنما يتحدر خلال رحلة الشاعر مع حواسه وخيالاته عبر تلك الشبكة الذهبية للمعرفة الإنسانية، وانطلاقاً من العلامات التي جرح بها الإنسان الجغرافيا بالوقائع التي أهملها التاريخ. لن أصدر على القراء فحوى هذا الحوار المتدفق الغني بالأفكار والتصورات، لشاعر إيطالي يعتبر مصادفة لقائه في ميلانو ذات أمسية بثلة من الشعراء والكتاب العرب المهاجرين، فرصة ثمينة لعبور المرآة وصولاً إلى كينونة الآخر بلحمه ودمه وخيالاته، وموعداً افتتح معه صفحة جديدة في حياته كشاعر. أخيراً لا بد أن أؤدي شكري للروائي السوري بالإيطالية يوسف وقاص الذي قام بترجمة نص الحوار ونماذج من شعر الشاعر إلى العربية.



نوري الجراح
شاعر سوري
مقيم في لندن

سوريا، العراق... كنت مهتماً بدلاً من ذلك بما يقولونه، في الشغف الذي ينبث من أحاديثهم، وقبل كل شيء، جو الاحتفال والصدقة الذي كان يسود بينهم. كل هذا أصبح صعباً، كما اعتقد، أيضاً بسبب كل ما حدث لي من قبل، أثناء تاهيلي ونشاطي الفكري. لقد قضيت سنوات على اتصال بالفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء الرياضيات والمهندسين وعلماء الكمبيوتر.

الجديد: في شعرك ميل لخلق تفاعل من نوع ما بين الحسي والفكري من خلال تصادم عناصر تنتمي إلى هذا وذاك. هناك بالتأكيد أثر ما لدراساتك الأكاديمية وللبعد الفلسفي والسيكولوجي على خياراتك الشعرية.. ولكن كيف توازن بين خيارات من طبيعة صارمة «الأكاديمية» بإزاء حرية الشاعر وانفلاته؟

سوريا، العراق... كنت مهتماً بدلاً من ذلك بما يقولونه، في الشغف الذي ينبث من أحاديثهم، وقبل كل شيء، جو الاحتفال والصدقة الذي كان يسود بينهم. كل هذا أصبح صعباً، كما اعتقد، أيضاً بسبب كل ما حدث لي من قبل، أثناء تاهيلي ونشاطي الفكري. لقد قضيت سنوات على اتصال بالفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء الرياضيات والمهندسين وعلماء الكمبيوتر.

الجديد: في شعرك ميل لخلق تفاعل من نوع ما بين الحسي والفكري من خلال تصادم عناصر تنتمي إلى هذا وذاك. هناك بالتأكيد أثر ما لدراساتك الأكاديمية وللبعد الفلسفي والسيكولوجي على خياراتك الشعرية.. ولكن كيف توازن بين خيارات من طبيعة صارمة «الأكاديمية» بإزاء حرية الشاعر وانفلاته؟

ثم لسنوات عديدة كنت قد ابتعدت جزئياً عن تلك البيئة لتعميق بحثي الأدبي. قبل سنوات عديدة كنت قد اقتربت أيضاً من العالم الأدبي الإيطالي، لكنني شعرت ببعض التعب. أتحدث هنا عن السنوات الأولى من عام 2000، سنوات صعبة من وجهة نظر سياسية وثقافية. إنما في ذلك المساء، شعرت أنه لم يكن هناك أي نوع من التعب في هؤلاء الأصدقاء الجدد. لقد كانت لديهم حيوية دقيقة، وهو بالنسبة إليّ مكون أساسي للكتابة نفسها. اعتقد أنه لا يمكن فعل أي شيء في الشعر والأدب، دون تطبيق كمية خطيرة (وأؤكد على هذه الكلمة) من الطاقة في إنتاجها.

لطالما كنت منذ طفولتي، منجذباً إلى العلم، ولطالما عشت هذا الانجذاب بطريقة قوية، وكان - كما هو الآن - إذا جاز التعبير، نوعاً من الهوس الشعري، حيث تتداخل العناصر الحسية للعالم مع شكلها العقلاني. عندما كنت طفلاً، جذبتني النجوم وعلم الأحياء بشكل خاص، وقبل كل شيء علم الأحياء البشري.

لذلك أريد أن أؤكد أنني لم أرغب في تعميق معرفتي بهؤلاء الناس من وجهة نظر أدبية وشخصية لأنني متعشش للايكزوتيكسي (تُظهر دراساتي ذلك: أنا لست مستشرقاً). صحيح أن إيطاليا بلد متناثر جداً في هذه الفترة بالشعر الأميركي وقليل جداً بالشعر العربي.

الطريقة التي يعيش وفقها الشعراء في اللغة ربما تتبع إمكانية ضعيفة جداً لبناء هوية عالمية مضادة

أدركت على الفور أن هذا الاتصال الفريد بهذه الثقافة كان يمكن أن يجعل محليتي أكثر خصوصية. لكن اهتمامي كان ولا يزال دائماً منصباً على الأشخاص المحددين أمامي. شعراء وكتاب يبنضون بالحياة، مع أفكار تتدفق باستمرار، خاصة مع الإحساس العميق بالسخرية والطعم الفطري للاستفزاز، حتى لو لم يكن غاية في حد ذاته، باختصار، كانوا الأشخاص الذين أبحث عنهم.

بعد سنوات عديدة، عندما كنت على وشك التخرّج في الفلسفة، بدأت في الاهتمام بفلسفة الذكاء الاصطناعي والعمل في مختبر تابع لمجلس البحوث الوطني الإيطالي، باقتناع عميق من جهتي بأنه فقط من خلال مسار بحث عقلائي، كان بإمكاننا تطوير حسي بشكل أفضل لفهم جانب يصعب التعبير عنه، إن لم يكن في الشعر، وهو ما أسميه «ظلال الواقع»، مكان يلتقي فيه العقلاني وغير العقلاني.

لعل ما يعنيه هذا العالم. لا أعرف ما هو العالم العربي. إنه سؤال لا يهمني. ما يهمني حقاً هو ما يقوله الأصدقاء الذين أتفاعل معهم حيث، في هذه الحالة، هم عرب. أعتقد أن كل ثقافة تحفّز

اللحظة الاستثنائية

الجديد: قلت لي إن ارتباطك بصادقات مع شعراء وكتاب عرب ينتمون إلى مصر وفلسطين وسوريا وربما بلدان عربية أخرى، كانت موعداً لانتباهات مهمة ممكنة من أن تطل على نفسك كشاعر إيطالي من زوايا جديدة كلية.. هل كان هذا الموعد مدخلا لمراجعة من نوع فكري؟ أم من زوايا تتصل بالمعاصرة الشعرية؟

الجديد: قلت لي إن ارتباطك بصادقات مع شعراء وكتاب عرب ينتمون إلى مصر وفلسطين وسوريا وربما بلدان عربية أخرى، كانت موعداً لانتباهات مهمة ممكنة من أن تطل على نفسك كشاعر إيطالي من زوايا جديدة كلية.. هل كان هذا الموعد مدخلا لمراجعة من نوع فكري؟ أم من زوايا تتصل بالمعاصرة الشعرية؟

الشعر يمكن أن يساهم في تحرير الشخص

دائماً في الدول مكان يخفت فيه الضوء، أي يصبح قاصراً. يبدأ الكتاب ويختتم بالبعد السياسي، وينتهي خلال أكثر فترات الحجر الصحي قسوة التي مرت بها في ميلانو، أهم مدينة في مقاطعة لومبارديا، وهي المنطقة التي برزت كواحدة من أكثر المناطق تأثراً بالفايروس في العالم، كما أصبح الضوء الأقل هو ضوء السجن المتناقص في منازلنا. الفترة التي قضيتها معتكفاً مع امرأتين، صديقتين مع بعضهما البعض، كانت إحداهما شريكة حياتي لمدة عشر سنوات تقريباً. علاقتي مع هاتين المرأتين هي أحد الموضوعات الرئيسية للكتاب، حيث يختلط البعد الشيق مع فيزياء الضوء، وحيث يتم القضاء على الفلسفة، وهي جوهرية في حياتي، وتبستثن من الكتاب بطريقة وحشية أيضاً. اعتقد أن الفلسفة، ما لم ترغب في صنع فلسفة فنية مثل الفلسفة التحليلية من أصل أنغلوإسكسوني، يجب أن تكون انعكاساً للسياسة من خلال الأدب. هذا، ليس في الشعر، ولكن في النثر، أي خطاب نقدي، لذلك هناك محاولة في هذا الكتاب لطرده الفلسفة من الأدب. في الواقع، في نقطة معينة أكتب، في قصيدة لم أدرجها في الكتاب لأنني اعتقد أنه من الصعب للغاية تحويلها إلى لغة أخرى "الفلسفة الحقيقية هي الرياضيات، والشعر الحقيقي هو المادة".

صحيح أنه يمكن القول إن الشعراء يسكنون اللغة، بالضرورة، أكثر من الآخرين: تاليف الشعر، بالطبع، يقوم على اهتمام باللغة من جميع جوانبها. وصحيح أيضاً أن الشعراء يشعرون أنهم ينتمون إلى مجتمع يرونه متميزاً عن المجتمع نفسه. ولكن علينا أن نكون حذرين. لأن الخطر هو أنه في هذا التمييز عن المجتمع، هناك انفصال عن المجتمع نفسه يفهم على أنه مكان لتثويبه الوقت، والتضحية بالأرواح البشرية.

الشعراء يشعرون أنهم ينتمون إلى مجتمع يرونه متميزاً عن المجتمع نفسه، ولكن علينا أن نكون حذرين

الصلاة التي لطالما أذهلنتني كثيراً، وهو الموقف الذي ظهر كثيراً في من يجب أن يساعد الآخرين من خلال المهنة، والصلاية التي تمكنت من ملاحظتها، على سبيل المثال، في مشغلي المنظمات غير الحكومية مع المهاجرين. تقريباً كل واحد من هؤلاء الصبية متعلق بإحدى هؤلاء المنسقات، اللاتي، في لحظة معينة، تعلقت بهنّ أنا أيضاً. في تلك اللحظة ولد الكتاب. كنت أجلس إلى المنضدة لأراقب وأراقب، شاهدت وكتبت، إذا جاز التعبير، مباشرة، لكنني كتبت من منظور كوني. منظور تأثر أيضاً بحقيقة أنه في ذلك الوقت طلب مني عقد محاضرة حول فلسفة الضوئيات، وهو موضوع لم أتعامل معه أبداً بشكل احترافي. لقد أثرت دراسة الضوء في عمق، وهذا ولدت دائرة قصيرة غريبة من الأفكار والأحاسيس: في حين كان يقاطعني أحد هؤلاء الصبية في المهني لتلقي الاهتمام أو يرتب على كفتي بحنان، كنت أشعر بسوء فهم الواقع، وهو واقع شعرت به في تجسيده المطلق.

الجديد: حدثنا عن كتابك الشعري المقبل.. ما هي الموضوعات الشاغلة أكثر من غيرها في قصائد هذا الكتاب.. وهل يشغلك أن يكون لهذا الشعر اختلاف عن الشعر المكتوب اليوم في الإيطالية.. كيف تنظر إلى خصوصية الصنع الشعري؟

الجديد: ديوان الشعر الذي أنا بصدد الانتهاء منه يحمل عنوان "الضوء القاصر". كلمة "قاصر" مشتقة من الفعل اللاتيني تصغير (Minorare)، وهي كلمة ما زالت تستخدم في الإيطالية، حتى لو كانت غير شائعة الاستخدام. التصغير هو التقويض، التقليل، الإعاقة. في صيغة الماضي، يصبح الفعل قاصراً، بوظيفة اسم، ويشير به إلى شخص محروم - لأسباب خلقية أو مكتسبة - من بعض الميزات البدنية أو الفكرية أو النفسية.

الجديد: قلت لي إن ارتباطك بصادقات مع شعراء وكتاب عرب ينتمون إلى مصر وفلسطين وسوريا وربما بلدان عربية أخرى، كانت موعداً لانتباهات مهمة ممكنة من أن تطل على نفسك كشاعر إيطالي من زوايا جديدة كلية.. هل كان هذا الموعد مدخلا لمراجعة من نوع فكري؟ أم من زوايا تتصل بالمعاصرة الشعرية؟

طريقة معينة للتعبير عن نفسها على حساب ثقافة أخرى. بهذه الطريقة، يتم تأسيس التعليم بشكل عام، حتى في شكل التعليم الذي يعطى للأطفال. يتم القيام ببعض الأشياء، وتهمل أشياء أخرى. كل ثقافة ترسم حدودها، وبالتالي يمكن أن يحدث أن نوعاً معيناً من العمل مجاني في سياق ثقافي معين، ومحدود في سياق ثقافي مختلف، أن هناك أشياء بين الثقافات المختلفة، ولكن لاكتشاف، من خلال ثقافة مختلفة، أن هناك أشياء معينة في تلك الثقافة الأخرى ممكنة.

التناقض والمغادرة

الجديد: سأف عن التعليق على إشارتك إلى شخصي أو شعري، وإلى لقائي بك في أمسية رائعة، وأسأل: هل تعتبر أن الشعراء، إلى أي ثقافة انتموا، هم مجتمع متميز لكونهم يقيمون في اللغة أكثر مما هم يقيمون في الأرض، وإن هذه الخصوصية في الانتماء إلى اللغة (وهي أرض علوية) تجعلهم أكثر انفتاحاً على الكينونة البشرية وأعمق اتصالاً بالوجود بحيث يشكلون هوية كونية مضادة لكل العصبية الصغرى المنتجة بالضرورة للفاشية والانغلاق الأحمق؟ وعليه.. هل يمكن للشعراء أن يوحّدوا العالم خارج القصيدة؟

الجديد: أشرككم خوفكم من هذين الاتجاهين: الشعبوية والقومية والفاشية من جهة، والشمولية التافهة من جهة أخرى، وأضيف نفاق المجتمعات الرأسمالية التي تعيش فيها. إننا نراها بشكل مأساوي مع العواقب القاسية لاستغلال الهجرة، بالعنصرية أو بالأزمة الناجمة عن الوباء. فإذا ما كانت الحماقات الترامبية (نسبة إلى ترامب) واضحة بالتأكيد، فإن التناقضات التي يحاول فيها الدفاع عن النظام الرأسمالي الذين يحاولون منحه وجهاً جيداً ربما تكون أكثر شراسة، لأنها تترك أكثر وجود الترامبية نفسها ولأنهم يساهمون بهذا في الحفاظ على الامتيازات وعدم المساواة، هذه الامتيازات والتفاوتات تتراجم إلى حياة مهدورة ومدمرة. ولكن ماذا يعني هذا؟ بالعودة إلى التفكير في الشعر،

الجديد: قلت لي إن ارتباطك بصادقات مع شعراء وكتاب عرب ينتمون إلى مصر وفلسطين وسوريا وربما بلدان عربية أخرى، كانت موعداً لانتباهات مهمة ممكنة من أن تطل على نفسك كشاعر إيطالي من زوايا جديدة كلية.. هل كان هذا الموعد مدخلا لمراجعة من نوع فكري؟ أم من زوايا تتصل بالمعاصرة الشعرية؟



ينشر كاملاً بالاتفاق مع «الجديد» الثقافية الشهرية اللندنية